بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إنَّ الحمدَ لله نحمدهُ ونستَعينُ به ونستَغفره ، ونعوذُ بالله من شرور أنفُسِنا وسيئاتِ أعمالِنا . من يَهدِ الله فلا مُضِلَّ لَهُ ، ومن يُضلِلِ فلا هَادىَ له ، وأشهَدُ أن لا إلهَ إلاَّ الله ، وأشهَدُ أنَّ محمَّدًا عبده ورسولُهُ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء: ١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا * يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١] .

أمَّا بعدُ

فإنَّهُ لم يَدُرْ بِخَلَدي ، ولم يُحَوِّمْ طائرُ فكري يومًا على فكرة هذا الكتابَ ، ولكن كما قيل : إذا أرادَ اللهُ ﷻ شيئاً هيَّأ أسبابَهُ .

فقد كنتُ في جلسَةٍ مع فَضيلَة الشَّيخ مُحمَّد صفوَت نور الدِّين رحمه الله ، وكان الرَّئيسَ العامَّ لجماعة أنصار السُّنَّة بمصرَ ، وكان ذلك عقب درسٍ عِلميٍّ ألقاهُ في مسجدي الكائنِ بمدينةِ كفر الشَّيخ وتكلَّمنا في أُمورٍ شتَّى ، فكان ممَّا قُلتهُ لهُ : « إنَّني لا أستطيعُ أن أفهمُ حتَّى الآن أن تكون جماعةٌ دَعويَّةٌ سَلَفيَّةٌ كهذه التي ترأسُهَا ، وليسَ لها مجلَّةٌ علميَّةٌ تُطبَعُ مرَّتَينِ في العام على الأقَلِّ ، تُعلِّمونَ النَّاسَ من خلالها عقيدَةَ السَّلَف الصَّالح ، ويَكتُبُ فيها أهلُ العلم عن مسائل النَّوازلِ التي تقَعُ بالمُسلِمين ، ممَّا لم

يَكُن مثلُهُ في الأزمان السَّالِفَة . فأينَ الأرشيفُ العِلمِيُّ للجماعة ؟! » ، فقال : « عندنا مجَلَّةُ التَّوحيد » ، فقُلتُ لهُ : « هذه مجلَّةٌ سيَّارةٌ لعَامَّةِ النَّاس ، وأنا أتكَلَّمُ عن مجَلَّة يغلُبُ عليها طَابَعُ البَحث العِلمِيِّ » ، فقال : « لِمَ لا تَأتينَا في المَركز العامِّ لِنَطرَحَ هذه القَضِيَّة للمُناقَشَة ؟ » ، واتَّفَقنَا ، وذَهَبتُ إليهم ، والتَقينا بالشَّيخ صفوَت الشَّوادفي رحمه الله وطالَ الكلامُ ، فقال لي الشَّيخُ الشَّوادفي : « أنتَ تُريد أن تُحلِّق في الفَضاءِ البَعيد ، ونَحنُ نَطلُبُ منكَ شيئًا يسيرًا لا يُكَلِّفُ كثيرًا ، ويكونُ نُواةً لهذه الأُمنيَّة التي ترجُوها » ، قُلتُ لَهُ : « وما هي ؟ » ، فقال : « أن تُشارِكَنا في رَفعِ سَقف مجلَّة التَّوحيد التي أرأَسُ تحريرَها ، بأن تُجيبَ عن أسئِلَةِ القُرَّاءِ الذينَ يُتابِعُونَ المَجَلَّة بِشَغَفٍ بالغٍ ، وينتَظِرونَ كَلِمَتَك في الحُكمِ على الأحاديثِ التِّي يسمعونَها من خُطباءِ المساجِدِ أو يقرؤونَها في الكُتُبِ » ، ثُمَّ أخرَجَ لي كيسًا كَبيرًا ، وقال : « هذه رسائلُ تحتوى على مئات الأحاديث التي تنتظر الجوابَ عنها » .

ولَم يُعطِني فُرصَةً لأُبدِي رَأيي في المَوضُوع ، ولكنَّهُ طلَب منِّى ألَّا أُطِيلَ الكلامَ حولَ أسانيد الأحاديث ، فضلًا عن الخَوضِ في المُناقَشات العِلمِيَّة ، التي لا يفهمها مُعظَمُ القُرَّاء ، واضعًا في اعتباري الإجابةَ عن أكبر قدرٍ من الأسئلَة ، بأن أذكُرَ الحديثَ المسؤُولَ عنه ، ثُمَّ أجيبَ عنهُ في سَطرَين أو ثلاثةٍ ، حتَّى نُجيبَ عن أكبرِ قَدرٍ من الأسئلَةِ .

ولم أُوَافِقهُ على هذا ، وقُلتُ لهُ : « هناكَ جانبٌ تعليمِيٌّ في الإجابة عن هذه الأحاديث ، لا يقِلُّ أهميَّةً عن الجَوابِ نَفسِه ، ذلك أنَّنا نُريدُ أن

يَعرفَ النَّاسُ : كيفَ نَحكُمُ على الحديث ، وأنَّ المسألةَ ليسَت بالتَّشهِّي واتِّبَاعِ الهَوَى ، بل وِفْقَ ضَوابطَ عِلميَّةٍ دقيقَةٍ ، وهذا لا يكُونُ إلَّا إذا أبرَزنَا هذا المعنَى من خلال تخريجِ الأحاديث ، أمَّا أن أكتَفِي بأن أُجيبَ عن الحديث بأنَّهُ صحيحٌ أو ضَعِيفٌ أو منكرٌ إلى آخرِ هذه الألقابِ ، فلا أَرَى فيه فائدةً » .

فقال لي : « افعل ما تراهُ مُناسِبًا ، واضعًا في اعتبارِك أنَّهُ يَصِلُنِي عشراتُ الخِطاباتِ ، التي تحتَوِي هي بدَورِهَا على أسئلَةٍ كثيرةٍ » .

وبَدأتُ في الجوابِ عن هذه الأسئلَة ، واضطُرِرتُ أمامَ كَثرَتِهَا أن أختَصِرَ الجَوابَ عنها اختصارًا مُجحِفًا في الغالب ، لكنَّني خَالَفتُ شَرطي في أحيان قليلَةٍ ، وظَلَلتُ عدَّةَ سَنَواتٍ أكتُبُ هذا الباب ، ثُمَّ اقترَحَ عليَّ بعضُ إخواني أن أجمعَ هذه الأجوبَةَ في كتابٍ ، فلَم أتحَمَّس لذلك ؛ لأنَّهَا مختَصَرَةٌ ، فاقتَرَحَ أن أُعيدَ النَّظرَ فيها مَرَّةً أخرى، وأزيدَ فيهَا ما كنتُ أرجوهُ لها ، فوَعَدتُهُ خيرًا .

ومرَّت سنواتٌ ، ولم أتمَكَّنْ من النَّظرِ فيها ، حتَّى أوائل هذا العام (١٤٣١ هـ) ، بدأتُ في جمعِ الأحاديثِ من المَجَلَّةِ ، ثُمَّ زدتُ عليها ما قَدرتُ عليه آنذاكَ ، إذ دَاهَمَنِي مَرَضٌ - والحمدُ لله - اضطُرِرتُ معه إلى السَّفر إلى ألمانيا لمدَّة ثلاثةِ أشهُرٍ من يومِ ٢٨/ ٤/ ٢٠١٠م ، واصطَحَبتُ معي هذا الكتاب للنَّظرِ فيه ، فوَجَدتُهُ يحتاج إلى تأليفٍ من جديدٍ ، وهذا ممَّا قد يُوقِفُ المشروعَ كلِّيًّا ، فاستَعَنتُ بالله تعالى في كِتَابَةِ ما أقدِرُ عليه .

ورأيتُ كتابًا صَدَرَ حديثًا وهو كتاب « المُداوِي لعِلَل الجامع الصَّغير

وشَرحَي المُناوِي » لأبي الفَيض أحمد بن مُحمَّد بن الصِّديق الغُمارِيِّ ، ونظرتُ في عمَلِه ، فإذا بي أَقِفُ على طَوَامَّ ممَّا خَالَفَ فيه أهلَ العِلمِ ، مع تجريحٍ وسبٍّ للمُناوِيِّ ، وتحقيرٍ لأئمَّة السَّلَفِ ، فَرددتُ عليه في بعضِ الأحاديثِ التي سَمَحَ وقتي أن أُعَلِّقَ عليهِ فيهَا ، ورأيتُ أنَّ تَعقُّبَهُ في كلِّ ما أخطأَ فيه يحتاجُ إلى تصنيفٍ مُستَقِلٍّ ، فقلتُ : « ما لا يُدرَكُ كلُّه ، لا يُترَكُ جُلُّه » ، فناقشتُهُ في بعضِ ما ذهبَ إليه ، وتَركتُ كثيرًا ممَّا قال لأنَّ تَتبُّعَهُ يحتاجُ إلى فراغٍ لا أجِدُهُ عندي .

وسأُحَاولُ ـ إن شاء اللهُ ـ أن أزيدَ الكتابَ فوائدَ كُلَّما عنَّ لي ذلك ، فلَم يَعُد عندَي من الجَلَدِ القَديمِ ما أستَطيعُ به أن أقُومَ بواجبِي كُلِّه . والحمدُ لله على كلِّ حالٍ .

وكان بوُدِّي أن أكتُبَ مُقَدِّمَةً ضَافِيَةً أذكُرُ فيها فوائدَ وأُصولَ ، غيرَ أنَّهُ حالَ دونَ ذلك ما ذكَرتُهُ آنفًا عن مَرَضِي .

فأَسألُ اللهَ تعالى أن يجعَلَهُ كفَّارةً وأجرًا، ورفعًا للدَّرجات إنَّهُ وَلِيُّ ذلكَ والقادرُ عليه .

وآخرُ دعوَانَا أن الحمدُ لله ربِّ العَالَمين .

وكتَبَهُ

أبو إسحاق الحُوَينِيُّ

حامدًا اللهَ تعالى ، ومصلِّيًا على نبيِّنا ﷺ وآلِهِ وصَحبِهِ

١٣ من المحرَّم ١٤٣٢ هـ